منظمة تحرير بديلة، ما العيب في ذلك؟

علي الصراف
كاتب عراقي

أولا، حركة "فتح" لم تعد هي نفسها. فيوم كانت هذه الحركة في طليعة شعبها كحركة تحرر وطني، كان من حقّها أن تكون عصب النضال من أجل تحرير فلسطين، وأن تكون القوة القائدة في منظمة التحرير الفلسطينية. أما اليوم، وبحدود ما تمثله قيادتها الرسمية، فإنها عصب الطغيان والشلل والخذلان. وهذا ما أدى إلى تمزقها أيضا ليظهر فيها تيار إصلاحي يطالب بالتغيير، ولتدفع الاستعدادات لإجراء انتخابات تشريعية إلى انشقاق أعضاء بارزين آخرين، فضلا عن ظهور كتلة شعبية كبيرة كانت محسوبة على "فتح" لتنأى بنفسها عن تلك الـ"فتح" التي تحولت إلى مؤسسة سلطة تمارس الفساد والاستبداد وترفل في نعيم التنسيق الأمني "المقدس" مع الاحتلال من دون أن تقدم لشعبها شيئا أكثر من الكلام الفارغ والشعارات المزيفة، التي لا تسندها إمكانيات ولا يبرهن عليها واقع.

الشعب الفلسطيني الذي نزع القفاز في وجه الاحتلال نزع الثقة عن سلطة الرئيس عباس كما نزع الثقة بالهيكلية التي تقوم عليها منظمة التحرير بعد أن ثبت أنها لا تعرف ماذا تريد

ثانيا، منظمة التحرير شاخت وترهلت ومرضت. عد لتنظر إلى فصائلها في السبعينات والثمانينات من القرن الماضي، وسترى منظمات تتخاصم فيما بينها على سبل التحرير، وتقاتل على جبهة الفكر والسياسة والأعمال العسكرية ضد الاحتلال. لا أحد يمكنه القول إنها كانت على صواب دائما. إلا أنها كانت في حركية دائبة، تفكر وتعمل وتجند من قوى شعبها في الداخل والخارج ما استطاعت، فتحولت إلى قوى تتفاوت فاعليتها بحسب عمق ما أنشأته من روابط مع جوهر المسعى التحرري. بعض خسائرها جاء من طرف الظروف الموضوعية التي ظلت تحيط بها، وبعضها الثاني جاء من طرف الأوهام التي سعت العديد من الدول العربية إلى تغذيتها في النفوس، وبعضها الثالث جاء من طرف النزعات الفردية والارتباطات بدول الأوهام وأيديولوجياتها. إلا أنها ظلت جديرة بأن تكون طرفا في "منظمة" كانت أقرب إلى برلمان يجمع كل ألوان الطيف الفلسطيني المسلح. أما اليوم، فانْظر إليها وستجد منظمات سادها الوهم وغلب عليها العجز، وتداعت قدرتها على تمثيل ما بدأت به. حتى أن بعضها تحول إلى "أمين عام" لا يجد من حوله أكثر من بضعة زبانية يكيلون له المديح، فيكيل لهم الرواتب مما يحصل عليه من ميزانية المنظمة.

ثالثا، المعايير تغيرت كما تغيرت كل الأحوال من بعد الخروج من بيروت عام 1982 ودخول معترك السلام. هذا المعترك نفسه كان شيئا مختلفا عن المعترك السابق. وبينما بقيت الفصائل كما هي كانت الأرض من تحتها تتبدل. معترك السلام لم يفرض معايير سياسية مختلفة فحسب، ولكنه صار يتطلب خيارات نضالية مختلفة أيضا، كما صار يتطلب إعادة قراءة للواقع. ولقد فشلت معظم فصائل المنظمة في أن تجد طريقا يقوم على قراءات جديدة. وهذا هو السبب الذي حال بينها وبين التوصل إلى "إستراتيجية وطنية موحدة". من ناحية لأن معظم تلك الفصائل ظلت ضائعة بين قراءات قديمة وتوجهات يفرضها واقع مختلف. والسبب هو أن القراءات القديمة كانت هي "كشك البيع" الذي لم تعرف ماذا تبيع لو أنها تخلت عنه. ومن ناحية أخرى، لأن واقع الاحتلال ظل ساحقا، وظلت جهود السلام تتعثر، الأمر الذي أبقى تلك الفصائل معلقة في الوسط، تتأرجح على حبال الحيرة، لا هي تستطيع أن تمضي بما اختارت إلى الأمام، ولا هي تملك ما تعود به إلى الوراء.

رابعا، "حركة التحرر الوطني" فقدت معناها السابق كليا. ولكن من دون أن تنشأ حركة تحرر وطني بناء على مفاهيم ومقاييس جديدة. انتقال قيادة "فتح" من الرئيس الراحل ياسر عرفات إلى الرئيس محمود عباس لم يؤسس لشيء أكثر من سلطة فساد ومحسوبيات، فضلا عن الفشل السياسي الذي عجزت بسببه عن تحقيق أي تقدم في مسارات السلام. ولقد اختارت هذه السلطة طوعا أن تكون تابعا لسلطة الاحتلال وأداةً تنفيذية لغاياته الأمنية، من دون مقابل، يتعدى القبول بها كسلطة بلديات تتولى رفع القمامة وتحصيل الضرائب والتنسيق الأمني. وبينما ظل "حل الدولتين" يتداعى مع توسع عمليات الاستيطان حتى التهمت 90 في المئة من القدس وثلث الضفة الغربية، فإن سلطة الرئيس عباس لم تعرف ماذا تفعل في مواجهة هذا التداعي، وكل ما لجأت إليه كان مجرد كلام فارغ.

حل الدولتين لكي ينجح كان يتطلب الدفع به من جهة حل الدولة الواحدة. يبدو الأمر من الوهلة الأولى تناقضا. ولكنه ليس كذلك. سبعة ملايين فلسطيني كان يجب أن يعنوا شيئا لإقناع إسرائيل بأن دولة فلسطينية مستقلة هي الخيار الأمثل لبقائها هي بالذات. بكلام آخر، بدلا من إستراتيجية التنويم المغناطيسي التي اتبعها محمود عباس لتعطل قدرات شعبه على مقاومة الاحتلال، بوعود كاذبة وأوهام، فقد كان يتعين للتحرر الوطني أن يكشف عن نفسه للسبعة ملايين فلسطيني داخل أراضي 48 بالمقدار نفسه الذي يكشف عن نفسه داخل أراضي 67. وللمقاومة المدنية أساليب وأشكال لا حصر لها، ولكنها لم تُحص ولم تحصر، ولم تتوفر الأدوات لتفعيلها، ولا حتى لفهمها. وظل الفهم قاصرا على تظاهرات، حتى لم تجد السلطة من يتظاهر معها، لاسيما وأن بعضها كان بمثابة مسرحيات غايتها التقاط الصور.

خامسا، الشعب الفلسطيني الذي نزع القفاز في وجه الاحتلال نزع الثقة عن سلطة الرئيس عباس، كما نزع الثقة بالهيكلية التي تقوم عليها منظمة التحرير، بعد أن ثبت أنها لا تملك إستراتيجية واضحة ولا تعرف ماذا تريد أو كيف تصل إلى ما تريد الوصول إليه. الانتفاضتان اللتان اندلعت أولاهما في ديسمبر 1987 وتواصلت لأربع سنوات وثانيتهما في سبتمبر 2000 واستمرت لخمس سنوات لم تكونا سوى انتفاضتي شعب بلا قيادة. من ناحية لأنهما كانتا انتفاضتيْن عفويتين لم تخطط لهما منظمة التحرير. ومن ناحية أخرى لأنهما كانتا انتفاضتين من دون هدف يتعدى الاحتجاج على قهر الاحتلال. وهو ما سمح للمنظمة باستغلاله في الاتجاه الذي كانت تعتقد أنه يفيد المضي في التسوية على أساس حل الدولتين، قبل أن تنتهي إلى أنها أفلتت الخيط والعصفور معا.

الانتفاضة الثالثة التي اندلعت من حي الشيخ جراح قدمت معادلات جديدة. ففي مقابل سلطة الفشل برزت سلطة رد الفعل التي مثلتها فصائل السلاح في غزة.

هذه الانتفاضة قدمت معايير جديدة. أبرزها سقوط سلاح القوة الطاغية، ووحدة الشعب الفلسطيني بشقيه، وفشل التمدد الاستيطاني في القدس على الأقل.

يكفي سلطة الرئيس عباس خزيا أنها ظلت الجانب الرخو الذي يمكن للاستيطان أن يتواصل فيه، من دون رد فعل. كما يكفيها خزيا أنها لم تستثمر الطاقة النضالية لشعبها في أراضي 48 حتى تحالف جانب من ممثليه مع حكومة يمين متطرف جديدة، بدلا من الاستثمار في الفوضى السياسية والاجتماعية وأعمال التمييز العنصري في إسرائيل. إلا أن ذلك كله قال شيئا واحدا على الأقل، هو أنها سلطة هراء سياسي، ومن ورائها منظمة اهتراء لا تعرف هي الأخرى ماذا تفعل أو ماذا تمثل أو مَنْ تمثل.

يقال الآن إن حركة حماس وبعض فصائل السلاح تسعيان إلى بناء منظمة تحرير جديدة. ما العيب في ذلك، إذا كانت تعرف بعض الجواب؟ ما العيب إذا كانت قادرة على الحوار مع أطراف فتح الأخرى، وغيرها من باقي الفصائل، أكثر مما يستطيع الرئيس عباس؟ على الأقل لتحل مشاكلها مع خياراتها المغلقة، لعلها تقدم جوابا أكثر نضجا.

قد لا يعبر ذلك الجواب عن رؤية متماسكة بالضرورة. وقد لا يمثل إستراتيجية وطنية تتوافق مع القراءة الحصيفة للواقع والإمكانيات بحيث تفضي إلى نتائج إيجابية، بدلا من أن تفضي إلى كوارث. ولكن بعض الرؤية خير من منظمة تحرير أصابها العمى، ومرضت بالشلل، ودفنها الرئيس عباس.

ماذا تبقى من الحزب الشيوعي الصيني؟

علي قاسم
كاتب سوري مقيم في تونس

احتفلت حكومة بكين يوم الاثنين بالذكرى المئوية للحزب الشيوعي الصيني، في بلد يحتل المرتبة الثانية بعد الولايات المتحدة من حيث عدد الأثرياء، فالصين تضم 5.8 مليون ثري من أصحاب الملايين، ويبلغ عدد الأشخاص الذين تفوق ثرواتهم 50 مليون دولار أكثر من 21 ألف مليونير.

وانضم قادة الحزب والدولة إلى نحو 20 ألف شخص لمشاهدة العرض الذي يحمل عنوان "الرحلة العظيمة" في الاستاد الوطني.

يصور هذا العرض الأسطوري الذي يضم أربعة أجزاء كيف قام الشعب الصيني، تحت قيادة الحزب الشيوعي الصيني، بالثورة والبناء والإصلاح على مدار فترة المئة عام الماضية.

وأشاد العرض بحقيقة أنه في "ظل القيادة القوية للجنة المركزية للحزب الشيوعي الصيني وفي القلب منها الرفيق شي جين بينغ، منذ انعقاد المؤتمر الوطني الـ18 للحزب الشيوعي الصيني، دخلت الاشتراكية ذات الخصائص الصينية عصرا جديدا، وأن الصين تشرع في رحلة جديدة للبناء الكامل لدولة اشتراكية حديثة".

عقب العرض ردد الحضور أغنية "دون الحزب الشيوعي، لن تكون هناك صين جديدة". المعجزة الصينية لم تبدأ مع "الرفيق" بينغ، هي أقدم من ذلك بكثير. مهندس الانفتاح الذي أعلنت الصين عنه عام 1978 هو دينغ شياو بينغ، "الدكتاتور الحكيم".

بعد مرور 43 عاما على انطلاق الانفتاح تمتلك الصين اليوم أكبر احتياطي من العملات الأجنبية، ويصنف الاقتصاد الصيني كثاني أكبر اقتصاد في العالم. ويعيش في الصين أكبر عدد من المليارديرات في العالم.

كيف أنجزت الصين معجزتها؟ وما حكاية "الدكتاتور الحكيم"؟

في عام 1920 ترك دينغ (مواليد 1904) قريته ورحل إلى ميناء شنغهاي، حيث تعلم القليل من الفرنسية، فأتاح له ذلك الحصول على منحة دراسية في فرنسا، مع مجموعة من أقرانه.

"كان الشعور السائد في الصين حينها أن دولتنا ضعيفة، فأردنا أن نجعلها قوية، سافرنا إلى الغرب واحتملنا المتاعب لنتعلم"، وهذا ما حدث.. جعلوا من الصين دولة قوية. ولكن ليس دون ثمن.

كانت فرنسا تعاني من أزمة اقتصادية خانقة، فاضطر إلى قضاء خمس سنوات متنقلا بين أعمال بسيطة. وانضم في تلك الفترة إلى تنظيم البروليتاريا، وتعلم درسه الأول عن الشيوعية من عمال المصانع اليساريين. يسّر له ذلك السفر إلى موسكو لدراسة الماركسية اللينينية عام 1926.

عندما عاد إلى الصين نشط في الدعوة إلى أفكاره الجديدة بدعم من السوفييت. وفي أقصى الجنوب الصيني التقى ماو تسي تونغ، فنشأت بينهما علاقة قوية، بحلوها ومرها.

كان رفيق نضال وموضع ثقة مؤسس الصين الجديدة، لكن ذلك لم يكبح جرأته المعهودة، فأعلن خلافه معه. كان ماو تسي تونغ يفضل أن يبقى الصينيون "فقراء في ظل الاشتراكية، على أن يصبحوا أثرياء في ظل الرأسمالية".

وكان رد دينغ على ذلك "الفقر ليس اشتراكية (...) لون القط لا يهم طالما يصطاد الفئران". والصين اليوم مليئة بالقطط السمان، ومن مختلف الألوان.

لم يخف دينغ رفضه لشعارات الثورة الثقافية، وكلفه ذلك الإبعاد عن الحياة السياسية مطلع السبعينات من القرن الماضي، حيث وقع نفيه إلى صحراء شنغيانغ، وأجبر على القيام بأعمال تنظيف مقار اللجنة المركزية للحزب الشيوعي.

وأطبقت عليه أحداث ما بعد ماو، بصراعاتها ومؤامراتها، تبتغي كتم أنفاسه. ولكنه في كل مرة كان يثب ويبرز عاليا، إلى أن قدّر له في النهاية أن يقود دولة يسكنها خُمس سكان العالم. وتحت قيادته دخلت الصين منعطفا جديدا.

بدأ شياو بينغ عهده في الحكم بإرسال البعثات الطلابية إلى الغرب لتعلم الهندسة والاقتصاد والإدارة الحديثة، معتمدا على التكنوقراط في حلّ مشكلات الصين. فكان الطلاب خير نخبة يعتمد عليها في الصناعة والتطوير والانتقال من مجتمع زراعي بحت إلى مجتمع صناعي.

بعد عام 1985 أصبح معظم الفريق الحاكم من التكنوقراط، واليوم باتت المجموعة الحاكمة في الصين من أكثر السياسيين على مستوى العالم الذين يتم اختيارهم من بين النابغين في العلوم الهندسية والاقتصادية والإدارية.

ولا تزال الصين ترسل البعثات إلى نخبة كليات الاقتصاد والعلوم الهندسية في بريطانيا وفي الولايات المتحدة لاكتساب المعرفة.

وسرعان ما تغيرت الصورة في الريف والقرى. لم تعد هناك مجاعة ولا شح في مواد الطعام، بل صار البعض يملك من المال ما يكفي لبناء مسكن. وظل يدعو الصينيين إلى اقتناص الفرصة التي أتاحها لهم.

يعتبر الانتقال من الاقتصاد الموجه إلى اقتصاد السوق من أهم وأبرز إنجازات شياو بينغ.

ولكن الدولة التي بدأت نهضتها في ثمانينات القرن الماضي، بإطلاق إصلاحات اقتصادية مشجعة للسوق، تواجه معضلة ظهور طبقة كبيرة من الأثرياء ينفصلون بشكل كبير عن المجتمع.

الحزب الشيوعي الصيني اليوم لم يعد حزبا أيديولوجيا بل هو حزب تكنوقراط وإداريين مهمته مكافحة الفساد والحرص على عدم تحدي مشاعر الطبقة الوسطى والفقراء وشعاره غير المعلن: إن ابتليتم بالثراء فاستتروا

الملياردير الصيني تشونج شانشان الذي يعرف بلقب "الذئب المنفرد" لابتعاده عن العمل السياسي أو مشاركة مشاهير رجال الأعمال، أضاف 13.5 مليار دولار إلى رصيد ثروته في أسبوع واحد فقط. ومنذ أن طرح أسهم شركة "بيجين بايولوجيكل فارمسي انتربرايز" للاكتتاب في أبريل 2020 تضاعف سعر السهم 28 مرة حتى الآن.

النجاحات الكبيرة المتتالية التي يحققها تشونج مكنته من إزاحة رجل الأعمال الهندي موكيش أمباني من على قمة أثرياء آسيا. واحتل تشونج المرتبة السادسة بقائمة الأكثر ثراء في العالم ليزيح الملياردير الأميركي وارين بافيت رئيس مجلس إدارة شركة بيركشير هاثاواي من مركزه.

وهو على وشك الانضمام إلى مملكة الأثرياء النادرة والذين تتخطى ثروتهم 100 مليار دولار، تفوق ثروته حاليا 91 مليار دولار.

على مدى عقود ارتبطت الصورة النمطية لأبناء الأثرياء في الصين بمظاهر البذخ والثراء الفاحش، والتي تظهر في نشر صورهم بجانب سياراتهم الـ"بنتلي" أو الـ"لامبورغيني"، وعرض رزم الأموال على مواقع التواصل الاجتماعي، أو تزيين حيواناتهم الأليفة بساعات آبل ذهبية.

بينما على الجانب الآخر هناك 600 مليون صيني يعيشون بدخل شهري يبلغ ألف يوان فقط (150 دولارا)، في الوقت الذي يبزغ فيه نجم ملياردير واحد على الأقل في البلاد كل أسبوع.

كل هذا البذخ كانت الحكومة الصينية تغض الطرف عنه، فالهدف هو تحقيق ثروة طائلة تتفوق بها على الولايات المتحدة غريم الصين التاريخي. وهذا ما فعله الحزب الشيوعي الصيني.

مؤخرا اختلف الوضع. فبالرغم من أن هذه الفئة الشابة من الأثرياء لا يزال أفرادها قادرين على امتلاك المنتجات الفاخرة والسلع باهظة الثمن، رأوا أن من الأجدى لهم الابتعاد عن الأضواء، بالأخص بعد استهداف الحكومة أصحاب المليارات في السنوات الماضية.

وتدرس السلطات الصينية منذ سنوات مقترحات لتقليل الفوارق الاجتماعية، مثل فرض ضرائب على الثروات والعقارات والميراث، ولكن لم يتم تطبيقها حتى الآن بسبب مخاوف إلحاق الضرر بالطبقة المتوسطة.

أي دور للحزب الشيوعي الصيني في كل ذلك؟

تقول "بلومبرغ" إن أبناء الأثرياء يدركون جيدا أنه لا مجال للعبث مع الحزب الشيوعي، وإن كان أغلبهم يستبعد أن تشرع الحكومة في مصادرة أموالهم، نظرا لتأكيدها أكثر من مرة على أهمية مشروعات ريادة الأعمال في تحقيق النمو.

الحزب الشيوعي الصيني اليوم لم يعد حزبا أيديولوجيا، بل هو حزب تكنوقراط وإداريين؛ مهمته مكافحة الفساد والحرص على عدم تحدي مشاعر الطبقة الوسطى والفقراء، وشعاره غير المعلن: إن ابتليتم بالثراء، فاستتروا.

العرب
أول صحيفة عربية صدرت في لندن
1977 أسسها
أحمد الصالحين الهوني

رئيس مجلس الإدارة
رئيس التحرير المسؤول
د. هيثم الزبيدي

رئيس التحرير والمدير العام
محمد أحمد الهوني

مدراء التحرير
مختار الدبابي
كرم نعمة
منى المحروقي

مدير النشر
علي قاسم

المدير الفني
سعيدة اليعقوبي

تصدر عن
Al-Arab Publishing House
المكتب الرئيسي (لندن)
The Quadrant
177 – 179 Hammersmith Road
London, W6 8BS, UK
Tel: (+44) 20 7602 3999
Fax: (+44) 20 7602 8778

للإعلان
Advertising Department
Tel: +44 20 8742 9262
ads@alarab.co.uk

www.alarab.co.uk
editor@alarab.co.uk